على قمع تحركاتها والسعي من أجل احتوائها من قبل ارتكازه الى زعامات تخلت عن مواقع المجابهة مع العدو الصهيوني اثناء اعتداءاته وعن التعبير المتمفصل عن آلام وحاجات ومطاليب هذه الجماهير النازحة والمحرومة عندما كانت بأمس الحاجة الى من يضيء مسيرتها ويوجهها بمنأى عـــن مطبات الوقوع فريسة للتبعثـــر والعشوائية والاحتقانات العشائرية والطائفية .

كان لا بد لهذا الواقع الاجتماعي الحاد والذي صار حضوره على الساحة اللبنانية اكثر وضوحا وفعلا من ان يتلاقى ويتفاعل وبالتالي أن يتلاحم مع القطاعات الفلسطينية الشعبية المتواجدة في لبنان وان يتأثر بها من حيث انها اكثر انتظاما ، واكثر تجربة في حقول النضالات الوطنية والمطلبية . وبرغم من المحاولات المتكررة من النظام على تحويل الفروقات الظرفية والتباينات في مستويات الوعي والتنظيم بين الفئات المحرومة النازحة الى تناقضات فعلية يتمكن النظام شراء مزيد من الوقت لديمومته فان هذه الفئات افسدت على النظام محاولاته من خلال انضوائها وتجاوبها مع القوى التقدمية واطارات اليسار اللبناني ، بالاضافة الى حركة المحرومين التي عملت على نقل هذه القطاعات الى حالة متقدمة من الوعي السياسي الاجتماعي الذي سهل استيعابهم لحقيقة تداخل مصائرهم مع التوجهات الاساسية للنضال الفلسطيني . في هذا المضمار حاولت القوى الانعزالية الغارقة في يمينيتها أن تفسر هذه الظاهرة الاجتماعية السياسية الطبيعية والمحتومة وكأنها عملية « انتقاص للسيادة اللبنانية » . أي ان اليمين الانعزالي اللبناني من أجل الامعان في تعمية المواطنين عن رؤيا عملية التآكل في نظامه المتقوقع ، فسر واقع التداخل النامي المحتوم بين الآلام الفلسطينية القائمة والآلام اللبنانية الناشئة ـــ خاصة من خبراء تخاذل النظام في الدفاع عن السيادة الحقيقية ـــ وكأنه « تدخل » فلسطيني وبالتالي انتقاص للمفهوم الشكلي والمبتور والمنحرف للسيادة اللبنانية .

كما انه اذا تمعنا اكثر في مفهوم القوى الانعزالية للسيادة لوجدنا انه ، من خلال الخلفية النظرية لتفكيرهم ومن خلال ممارساتهم الراهنة يتلخص بكون السيادة مرهونة بقدرة النظام على الحفاظ على امتيازات القلة المهيمنة واستمرار هضم حقوق الاكثرية المغبونة . ولم تتورع هذه القلة المهيمنة عن تسخير كل الامكانيات والوسائل والاساليب من أجل ديمومة تسلطها واستئثارها . وكانت كلما احكم طوق الوعي الجماهيري حولها كلما كشفت عن ادمانهاـــ وكأنها تتحين الفرص ـــ في رغبة اللجوء الى استنفار غرائز الخوف واللاعقلانية من أجل اجهـــاض الحقيقة الاجتماعية الطبقيـــة للصراع السياسي الى عملية اغراق المواطنين من كل الطوائف في حرب اهلية اقتتالية يتوقف عنده العقل المحلل ليفسح المجال امام الهذيان السياسي الذي يولده جنون الطائفيين ومخططات العملاء . حتى انه بدا لقطاعات كثيرة اثناء الازمة اللبنانية الدامية ، وما انطوت عليه من تجارب مرة ومأساوية ، ان عملية تقسيم فعلية آخذة بالتنفيذ من خلال التفريغات الطائفية المعيبة التي جرت في عدد من المناطق اللبنانية بواسطة الارهاب الذي مورس وحيث كان المسيحيون أو المسلمون اقلية قائمة وراسخة . لقد وجدنا أيضا كيف ان مفردات التخاطب السياسي حتى عند بعض التقدميين الملتزمين اتسمت بالرضوخ للحسابات الطائفية ولبعض اوجه لغتهم . لقد تصور هذا الفريق من التقدميين الوطنيين ان من شأنه التعجيل في تعبئة المحرومين والمسحوقين حتى يصار فيما بعد الى تثقيفهم السياسي في مرحلة لاحقة لمرحلة التقاتل . وبرغم ان استعمال بعض المفردات والمفاهيم الطائفية عند قطاع من القوى التقدمية والوطنية كان استنسابا الا انه يجدر بنا أن نسجل هذه الانحرافات عن الخط العلماني الصرف المطلوب منا جميعا وتحت كل الظروف والتحديات تأكيده والتزامه . غير ان تسجيل هذه الواقعة لا يجب مطلقا